Journal of Alasmarya University
Volume 1, June 2003

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الأول، يونيو 2003

الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا ودورها في نشر الإسلام والعروبة

الدكتور
علي حسين الشطشاط
جامعة قاريونس

الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا ودورها في نشر الإسلام والعروبة

انتشر الإسلام في أفريقيا وما زال ينتشر، وقد بدأت تجربة القارة الأفريقية مع الإسلام منذ وقت مبكر، وما زالت مستمرة. وأصبح انتشار الدعوة الإسلامية بها يشكل فصلاً من أهم فصول تاريخها. وقد حظيت الدعوة الإسلامية، في أفريقيا، باهتمام وعناية الكثير من الباحثين الأجانب، والعرب على السواء، من حيث دراسة مراحلها ووسائل انتشارها، فوضع العديد من الكتب، ونُشر الكثير من الأبحاث التي تعالج انتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا بصفة عامة، وفي شرقها بصفة خاصة، والوسائل التي اتبعت في سبيل ذلك، والمسالك التي سلكها إلى تلك المناطق والبلدان، ولعل الصلة بين سكان شبه الجزيرة العربية، وشرق أفريقيا قديمة جداً، ترجع لأكثر من خمسة آلاف عام، فقد كانت أفريقيا، والشرق العربي رقعة واحدة، حتى انفلقت قشرة الأرض، ففصل البحر الأحمر بينهما، ولم يقف ذلك حائلاً دون الاتصال البشري، كما أن قدراً كبيراً من الاتصال كان ميسوراً عن طريق مضيق باب المندب، وشبه جزيرة سيناء، وكانت سواحل المحيط الهندي الأفريقية، والعربية تمثل نقاط تواصل مهمة بين المنطقتين. لقد انتشر الإسلام في أفريقيا بعدة وسائل متنوعة، وفي فترات تاريخية متباعدة، ولكن الصفة الغالبة في نشر الدعوة كانت بالهداية والإقناع وبالوسائل السلمية.

أولاً: دور العرب في كشف القارة الأفريقية

إن العلاقات بين العرب والأفارقة قديمة جداً، فقد كانت الصلة بين سكان شبه الجزيرة العربية، وأفريقيا ميسورة وسهلة عن طريق مضيق باب المندب، وشبه جزيرة سيناء، وكانت سواحل المحيط الهندي الأفريقية، والعربية تمثل نقاط تواصل مهمة بين المنطقتين، وفي وسط الصحراء الإبل، وسيلة التواصل البري عبر سيناء، حتى سواحل المحيط الأطلسي[1].

أ ـ جهود العرب فيما يتعلق بالساحل الشرقي للقارة:

لقد لعب العامل الجغرافي دوراً مهماً في كشف العرب للساحل الشرقي لأفريقيا، فمن حيث الموقع نرى أن شبه الجزيرة العربية قريبة جداً من أفريقيا، لا يفصلها إلا البحر الأحمر والمحيط الهندي، وعلى الرغم من ذلك فإن حب العرب للمغامرة، وركوب البحر دفعهم إلى اكتشاف الأراضي المجهولة لديهم، وقد ساعدهم على ذلك العامل الجغرافي، إذ كانت الرياح الموسمية تدفع سفنهم، لتصل بهم إلى الساحل الشرقي، وبعد شهور قليلة، يتبيّنون أن اتجاه الرياح قد تغير، فتدفعهم عائدين إلى بلادهم، فهذه الرياح هي التي سهلت على العرب الوصول إلى ساحل شرق أفريقيا[2].

ومن ثم أصبح للبحارة العرب الأوائل الخبرة في معرفة مواقيت الرياح، وأصبحت رحلاتهم من شبه الجزيرة العربية إلى الساحل الشرقي لأفريقيا ميسرة، ولم يكونوا يسعون وراء شيء محدد، سوى المغامرة واكتشاف المجهول، ومعرفة المدى الذي يمكن أن تذهب إليه سفنهم في المحيط[3].

---

(1) حسن، يوسف فضل: الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، أعمال ندوة العرب وأفريقيا التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربي (بيروت، 1984) ص 27.

(2) ترمنجهام، سبنسر: الإسلام في شرق أفريقيا (القاهرة، 1973) ص 8.

(3) العمري، أحمد سويلم: الأفريقيون والعرب (القاهرة، 1967) ص 113 . كذلك الجمل، شوقي: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (القاهرة، 1971) ص 225.

فلما وصلوا وجدوا أشياء لفتت أنظارهم مثل العاج، فحملوه معهم وعادوا في العام اللاحق لجلب المزيد منه، حاملين معهم بضائع من بلادهم لمبادلتها، وهكذا نشأت الرحلات التجارية المنتظمة إلى ساحل شرق أفريقيا[4].

وتعد العلاقة بين العرب والأفارقة قديمة جداً، نتيجة الرحلات التجارية التي قام بها العرب، فكانوا يجلبون الرقيق من بلاد الزنج إلى الجزيرة العربية، وكان الأحباش أكثر من وفدوا من الساحل الأفريقي وذلك عن طريق الرق[5]. وتتابعت الهجرات العربية إلى الساحل، فقد هاجرت القبائل العربية القاطنة في اليمن والحجاز وحضرموت إلى أفريقيا، وكانت هي أول القبائل المهاجرة إلى أفريقيا[6].

ب ـ الهجرات العربية إلى الساحل الشرقي والطرق التي سلكتها تلك الهجرات:

كانت الطرق التي سلكها العرب المسلمون إلى القارة الأفريقية، هي الطرق نفسها التي سار عليها أجدادهم من قبل؛ من أجل التجارة أو الهجرة. وأدى هذا التطور العظيم في حياة العرب إلى حدوث نقلة نوعية في تاريخ العلاقات الثقافية بين العرب والأفارقة، ففوق دعائم التعامل التجاري والهجرات البشرية، قام بدور إيجابي في نشر العقيدة الإسلامية، وبسط نفوذها السياسي في أفريقيا[7].

(4) ترمنجهام: الإسلام في شرق أفريقيا، ص 9.

(5) أرنولد، توماس: الدعوة الإسلامية، ترجمة حسن إبراهيم حسن، (القاهرة، 1971) ص 126.

(6) ترمنجهام: المصدر السابق، ص 10.

(7) يوسف، حسن: الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، ص 28 وأبو بكر، علي الشيخ أحمد: الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي (الرياض، دون تاريخ) ص211.

لقد لعبت الهجرة الإسلامية إلى داخل أفريقية دوراً كبيراً مهماً في نشر الإسلام، في هذه المناطق منذ بداية الدعوة لهذا الدين التي أخذ سيدنا محمد ﷺ يبثها بين مشركي قريش في مكة، وقد تعرض هو وأصحابه إلى الاضطهاد والشدة والإهانة البالغة، .فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من حفظ الله ـ عز وجل ـ ورعاية عمه أبي طالب . وأنه لا يقدر على أن يمنعهم (قال: «**لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن فيها ملكاً لا يظلم أحد عنده، حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه**». فخرج المسلمون إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم)[8].

وروى الواقدي أن خروجهم إليها كان في رجب سنة خمس من البعثة، وأن أول من هاجر منهم أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، وأنهم انتهوا إلى البحر ما بين ماشٍ وراكب، فاستأجروا سفينة بنصف دينار للحبشة، وهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل، و الزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم، فكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة[9]. وكان اختيار الرسول الكريم ـ ﷺ ـ للحبشة دون غيرها؛ لأنها من أقرب البلاد المسيحية التي يربطها بالعرب تاريخ مشترك، ويحكمها ملك مسيحي، فإلى جانب قربها كان السفر إليها أهون من اختراق الجزيرة شمالاً أو جنوباً، عبر قبائل معادية[10]، بالإضافة إلى أن الرسول لم يفكر في هجرة إحدى القبائل العربية؛ لأنها كانت ترفض دعوته في مواسم الحج؛ مجاملة لقريش أو

(8) ابن الأثير، أبو الحسن علي: الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي (بيروت، 1980)2/ 51، 52.

(9) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء: البداية والنهاية، دار الغد العربي (القاهرة، 1991)2/ 80، 81.

(10) الفيتوري، عطية مخزوم: دراسات في تاريخ شرق وجنوب الصحراء، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 1998) ص199.

تمسكاً بدينها لوثني، واختار الحبشة لما كان يعرف عن ملكها من العدل والتسامح[11].

واستمرت الهجرة إلى الحبشة، وتتابع المسلمون إليها في الهجرة الثانية، وكان فيها جعفر بن أبي طالب، ومنهم من خرج بأهله معهم، ومنهم من خرج بنفسه، فكان من لحق بأرض الحبشة ثلاثة وثمانون رجلاً عدا زوجاتهم وأبنائهم، وتطورت الهجرة حتى بلغت ما يقارب ستمائة مسلم، وهؤلاء المهاجرون لم يهاجروا جميعاً من مكة، بل إن فوجاً منهم قد هاجر من اليمن برئاسة أبي موسى الأشعري، وقد قدر عددهم ببضع وخمسين رجلاً[12].

أقام هؤلاء المهاجرون في البلاط الأكسومي فترة قصيرة قدرت بشهرين أو تزيد قليلاً. ثم أرسل النجاشي وفداً سياسياً إلى الرسول ﷺ بمكة ليتثبت من حقيقة هؤلاء، ويقال إن الوفد الحبشي قد أسلم، ويُعدّ هذا أول تأثير مباشر لحركة الهجرة في نشر الإسلام، وعندما تأكد النجاشي عن طريق معلومات هذا الوفد من صحة الأخبار عن النبي، سمح للمسلمين بالهجرة إلى بلاده، فأذن النبي ﷺ للمسلمين بالهجرة بعد أن اطمأن إلى حماية النجاشي لهم، فتدفقت الهجرة الإسلامية إلى الحبشة، حيث كانت تسير أقدام العرب منذ زمن بعيد، وحيث استقر بها إخوان لهم من قبل يشتغلون بالتجارة، ولم يمنع الإسلام من اعتنقوه من تجار العرب، من مزاولة حرفهم الأولى. فالهجرة إلى الحبشة، والعلاقات التجارية التي كانت قائمة قبل الإسلام استمرت بعده، وحمل المهاجرون والتجار الجدد إسلامهم، ومن ثم أخذ الإسلام يظهر وينتشر في الحبشة، ويتغلغل في المناطق القريبة لها حيثما سار التجار[13].

(11) حسن، حسن إبراهيم: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية (القاهرة، 1963)1/ 75.

(12) ابن كثير، المصدر السابق، 2/ 83.

(13) عطية الفيتوري، المرجع السابق، ص 120.

وتعاقبت بعد ذلك مجموعة من الأحداث على الدولة الإسلامية، ساعدت على الهجرة إلى القارة الأفريقية، منها حروب الردة التي حدثت بعد وفاة الرسول ﷺ إذ يقول ابن الأثير في ذلك: (لما مات النبي ﷺ وسيّر أبو بكر جيش أسامة، ارتدت العرب وتضرّمت الأرضُ ناراً، وارتدّت كلّ قبيلة عامّة أو خاصّة إلا قريشاً وثقيفاً)[14]. وكذلك الفتنة الكبرى التي حدثت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه (23 ـ 35هـ/ 644 ـ 656م) وما تلتها من موقعة الجمل سنة (36هـ/ 656م) وظهور الخوارج، واضطهاد أهل البيت على أيام الدولتين الأموية والعباسية، كل ذلك دفع الأطراف المغلوبة سياسياً، وعسكرياً إلى طلب الهجرة إلى الحبشة التي كانت بعيدة عن متناول السلطة الأموية، وقد تركزت هذه الهجرة عقب موقعة كربلاء سنة (61هـ/ 680م) التي قتل فيها الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[15].

وعلى أثر هذه الأحداث فرَ زعيم العلويين الإمام زيد بن الحسن بن علي، ومعه أنصاره، فقصدت جماعة منهم شواطئ شرق أفريقيا، وقد سموا (إموزيديج) ثم وسعوا من رقعة أراضيهم بها بفضل ما كان يتوالى عليهم من المهاجرين من شبه الجزيرة[16]، ثم توالت الأحداث التي تمثلت في خروج الحجاز على الدولة، وقد أمد المسلمون القاطنون على الساحل الغربي للبحر الأحمر، عبد الله بن الزبير، بما يلزمه من مؤن وسلاح حتى استطاع الصمود أمام الدولة الأموية.

وحين اشتد النزاع بين أحزاب المسلمين، كانت بعض الأحزاب المغلوبة على أمرها تهاجر إلى شرق أفريقيا، وتتخذ هذه الجهات موطناً لها[17]. ففي أثناء حكم الخليفة عبد الملك بن مروان سنة(65 ـ 85هـ/ 685 ـ

(14) ابن الأثير، الكامل، 2/ 231.

(15) الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الأمم والملوك (القاهرة: 1965)6/ 269 ـ 271.

(16) سير توماس آرنولد: الدعوة الإسلامية، ص 378.

(17) الجمل، شوقي: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (القاهرة، 1971) ص 38.

705م) هاجرت أعداد كبيرة إلى السواحل الشرقية، حيث وجدوا كل المساعدة من قبل أبناء الهجرات العربية القديمة التي استقرت منذ وقت طويل، مما زاد في تنامي المراكز التجارية، وكان تأسيس المدن العربية التي استقر بها العرب، من قبل، دافعاً لمزيد من الهجرات للقارة الأفريقية[18]. وعندما استولى العباسيون على مقاليد الحكم في الدولة الإسلامية، هاجر كثير من الأمويين وأتباعهم إلى الساحل الشرقي الأفريقي عن طريق المحيط الهندي والبحر الأحمر[19].

ومن أهم الهجرات العربية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي هجرة الأخوة السبعة من قبيلة الحارث العربية، فقد هبط هؤلاء على الساحل الشرقي لأفريقيا عند شاطئ بنادر، وامتد نفوذهم حتى جنوبي ممبسة[20]، ولقد اصطدم المهاجرون الجدد في ساحل بنادر بمن سبقوهم من المجموعات الزيدية، ففضلوا التوغل إلى الداخل حيث اختلطوا بالأهالي الأفارقة[21] ويرجع إليهم الفضل في تأسيس مدينتي مقديشيو وبراوة[22]. وفي أيام الفاطميين في القرن الرابع الهجري/ الحادي عشر الميلادي جاءت هجرات عربية أخرى من صعيد مصر، وهي قبائل بني هلال وبني سليم وغيرها، في أعداد كبيرة، وتصاهروا معهم واختلطت دماؤهم وأنسابهم وامتزجت، وعمروا السهول والواحات وأعالي الجبال وبطون الصحراء. ثم

(18) قاسم، جمال زكريا: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، معهد البحوث والدراسات العربية(القاهرة، 1975) ص 291.

(19) زكي، عبد الرحمن: الإسلام والحضارة العربية في شرق أفريقيا، ال مجلة التاريخية المصرية، العدد الواحد والعشرين (القاهرة، 1974) ص 38.

(20) قاسم، جمال زكريا: استقرار العرب في شرق أفريقيا، مجلة كلية الآداب، جامعة عين شمس، العدد العاشر (القاهرة1967) ص 293.

(21) عبد الرحمن زكي: المصدر السابق، ص 39.

(22) المسعودي، أبو الحسن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس (بيروت، 1984)1/ 98.

جاءت هجرات العرب الهاربين من مذابح الصليبيين في أوربا، أيام انهيار دولة المسلمين في الأندلس، ونزوح الكثير منهم إلى أفريقية[23].

أما في غرب أفريقيا، فقد لعبت حركة الهجرة دوراً بارزاً في نشر الإسلام في مناطق جنوب الصحراء، وقد تمركزت هذه الهجرات حول بحيرة تشاد والنيجر ثم مالي والسنغال وغيرها، وعندما اضمحلت دولة مالي، وغيرها من الإمارات الإسلامية، في منتصف القرن السادس عشر، حمل لواء الدعوة إلى الإسلام قبائل أفريقية مثل الفولاني والبوهمان[24]، والماندنجو الذين صاروا يعدون من أكثر شعوب غرب أفريقية تمسكاً بالإسلام، ودعوا إليه وازداد انتشاره فيهم، حتى أصبح دين الدولة كلها[25]. وقد هاجرت هذه القبائل نحو الشرق إلى نيجيريا وتشاد، وجنوباً إلى غينيا وتمركز نشاط هذه الجماعات في إنشاء دور التعليم وإنشاء المدارس بغية نشر التعليم الديني، وتمكنت القبائل المهاجرة إلى غينيا من تأسيس دولة إسلامية على مبدأ الشورى، استمرت حتى مطلع القرن التاسع عشر[26].

لقد كانت كل هذه الهجرات وغيرها مورداً لا ينضب معينه من الدماء التي تسري في شرايين حركة انتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، حيث أسهمت إسهاماً فعالاً، مع غيرها من المسالك، في إرساء دعائم هذه الحركة ونجاحها في فترة وجيزة من عمر الزمن[27]. وهكذا تدفقت الهجرات العربية عبر القرون إلى أفريقية، وبوجه خاص إلى الشمال والشرق، وكان لها

(23) عبد الطاهر، حسن عيسى: الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفولاني في مطلع القرن الثاني عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي دار الهلال (الرياض، 1981)، ص 41 ـ 42.

(24) عطية الفيتوري: المصدر السابق، ص 124.

(25) حسن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص 102.

(26) عطية الفيتوري: المصدر السابق، ص 124.

(27) المصدر نفسه، ص 124.

أثر كبير في نشر الإسلام، بل امتد أثر هذه الهجرات إلى الجنس واللغة، فأصبحت مناطق الشمال، وكثير من مناطق الشرق عربية الدم واللسان.

وهناك حقيقة نلفت النظر إليها، هي أن فيض المهاجرين العرب كان وفيراً في الشمال والشرق. فتعربت بلاد الشمال والسودان الغربي، أما المهاجرون العرب إلى الأماكن الأخرى جنوب الصحراء، فكانوا قلة نسبياً، وانتشر الإسلام بهذه الأماكن الأخرى عن طريق التجار والبربر والطرق الصوفية[28].

ج ـ المسالك التي سلكتها القبائل العربية للوصول إلى أفريقيا:

وقد سلكت القبائل العربية طريقها لأفريقيا مهاجرة عبر المنافذ الآتية:

1 ـ باب المندب: يعد من أهم الطرق الحيوية، ويمثل تيار هجرة بشرية منذ أقدم العصور، حيث انتشر سكان الجزيرة العربية مثل العمانيين واليمانيين والحضارمة إلى السواحل الشرقية، ثم اتجهوا شمالاً حيث استقرت منهم جماعات في الحبشة والسودان، وبعضهم اتجه صوب الغرب[29].

وفي سبيل تأمين هذا المعبر التجاري غزت الحبشة بلاد اليمن والسواحل الشمالية الغربية للصومال قبل الإسلام، فلا عجب أن نجد الهجرات العربية تأتي من هذا الطريق إلى سواحل شرق أفريقيا بعد سيادة الإسلام، في شبه الجزيرة العربية بصورة تبادل تجاري، أو دعاة لنشر الدعوة الإسلامية، وأن يؤسسوا بيوتاً تجارية مزدهرة في المدن الساحلية، مثل زيلع ومقديشو وممبسا ولامو وكلوة وسفالا، وكذلك هاجرت عن طريق هذا

(28) شلبي، أحمد: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن) مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1983) 6/ 188.

المعبر جماعة عربية من بني مخزوم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب إلى زيلع[30].

2 ـ طريق البحر الأحمر: للبحر الأحمر دور مهم في ربط القارة الأفريقية بشبه الجزيرة العربية، فقد خرجت الهجرات العربية الهائلة من شبه الجزيرة العربية، عابرة ذلك البحر إلى السواحل الأفريقية، وكان إقليم الحجاز منذ أقدم العصور على صلة قوية بالشاطئ الأفريقي المقابل، قبل ظهور الإسلام بفترة طويلة، ولكن مع ظهور الإسلام (الهجرة الإسلامية إلى الحبشة بقيادة جعفر بن أبي طالب قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة) وانتشاره في النطاق الرعوي الأفريقي، ظهرت أهمية هذا الجزء الأوسط من البحر الأحمر كمعبر قريب من الحجاز، وخاصة بعد أن خضعت بلاد الشام لسيطرة الصليبيين، ومن هنا كان وجود الموانئ الأفريقية على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر[31].

3 ـ طريق خليج عدن: ويُعدّ هذا الطريق أقوى أثراً من الأول لقرب الشاطئ للخليج، كما يُعدّ سكان مدينة عدن أكثر شعوب الجزيرة العربية اتصالاً بشرق أفريقيا، و يبدو أن العرب كانوا قد تعودوا أن يلاقوا في هذه السواحل ترحيباً، ويجدوا سكانها موضع ثقتهم، كما وجدوا فيها فرصة كثيرة لكسب الرزق، وهم يمثلون في الوقت نفسه الداعية الإسلامي أو المسلم الذي يبشر بالدعوة الإسلامية، وازدادت أهمية هذا المسلك منذ القرن الحادي عشر بصورة واضحة، عندما بدأت مهارة أهل عمان في صناعة السفن التجارية وقاموا بنقل منتوجات شرق أفريقيا إلى المراكز التجارية في

(29) الغنيمي، عبد الفتاح مقلد: حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا (القاهرة، بدون تاريخ) ص 12.

(30) الفاسي، محمد وإيفان هربك: تاريخ أفريقيا العام (اليوسفكو، 1988) 3/ 126/ 127.

(31) الغنيمي: المصدر السابق، ص 13.

جنوب الجزيرة العربية والشواطئ الهندية، منافسين في ذلك السفن الهندية[32].

4 ـ برزخ السويس وشبه جزيرة سينا: لا يقل هذا المنفذ أهمية عن المنافذ السابقة، فقد كان هذا الطريق معبراً وممهداً للهجرات العربية للدخول إلى القارة الأفريقية، فكان هذا الطريق المدخل الرئيسي للهجرات إلى أفريقيا عن طريق البر[33].

وعلى هذا فإنه يمكن القول إن باب المندب وسواحل البحر الأحمر وطريق خليج عدن وبرزخ السويس، وشبه جزيرة سيناء، تعتبر جميعها طرقاً مهمة سلكتها الجماعات البشرية المتتالية والمهاجرة في مسالك متعددة، سواء منها البرية أم البحرية في فترات زمنية متقاربة أو متباعدة، تبعاً للمصدر الذي ترجع إليه كل جماعة وافدة، ولا شك أن هذه الهجرات والحركات البشرية كان لها أعظم أثر في تعمير منطقة بحيرة تشاد وغرب أفريقيا، وكان لها أثرها المباشر والقوي والفعال في ظهور حضارة إسلامية راقية، قامت على أكتاف تلك العناصر العربية المهاجرة[34].

5 ـ وهناك طريق آخر سلكته الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا، وهو طريق أفريقيا (المغرب الأدنى) بما فيها إقليم طرابلس، إذ هاجر عرب (التنجور) من شمال أفريقيا إلى دارفر في جمهورية السودان الحالية، ومنها انتشروا في نواحي السودان الشرقي، وكان لهذه الهجرة أثر واضح في تعريب تلك المنطقة، ونشر الإسلام فيها[35].

(32) محمد الفاسي وإيفان هربك: المصدر السابق، 3/ 128.

(33) الغنيمي: المصدر السابق، ص 13.

(34) الفيتوري: دراسات في شرق أفريقيا، ص 86.

(35) ينظر ممدوح حسين: الحروب الصليبية في شمال أفريقيا وأثرها الحضاري، ص57.

د ـ المهاجر العربية والشركات العربية:

كانت العلاقات التجارية تربط بلاد العرب بشرقي أفريقيا، ولم تتوطد هذه العلاقات إلا بهجرة العرب واستقرارهم في البلاد، وبتوالي الهجرات والاستقرار ألزمتهم الضرورة بأن يكوّنوا إمبراطورية عربية، تنشر نفوذها على الساحل الشرقي للقارة الأفريقية، وقد كوّن العرب محطات تجارية في تلك المناطق، ثم استقروا فيها كمهاجرين، ولم يكن هدف العرب من تكوين المحطات أو الشركات، أو من الاستيطان، الاستعمار، بل كان من أجل التجارة[36].

هـ ـ دور إمارة عُمان في كشف القارة:

كانت إمارة عمان بعد أن أكملت إنشاء ميناء مسقط، اتجهت بأنظارها إلى الإبحار إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، حيث الغابات الوفيرة واستجلاب الأخشاب من غابات جزر الزنجبار، مثل أخشاب أشجار جوز الهند التي تصنع منها السفن، وبعد تفوق العرب في البحرية، وتعدد رحلاتهم التجارية والاستكشافية إلى جزر الساحل الشرقي للقارة، استقر هؤلاء العرب في الجزر، ومن ثم انتقلوا إلى الساحل الشرقي المحاذي للبحر، وكونوا هناك إمارات عربية كان لها دور مهم في نقل المؤثرات الإسلامية والحضارية في القارة الأفريقية، قبل مجيء الحملات الاستعمارية من قِبل الأوربيين[37].

وقد استطاعت عمان، في ظل اتحاد أهلها، أن تقاوم الأتراك والفرس. وفي القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي تلقب حاكم عمان بلقب إمام، وظل خلفاؤه يتوارثون هذا اللقب حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي. وقد أنشأ العمانيون ميناء مسقط على ربوة عالية تشرف على

(36) عبد الرحمن زكي: المسلمون في العالم اليوم، ص 8.

(37) أوليفر، رولاند وجون فيج: موجز تاريخ أفريقيا، ترجمة دولت أحمد صادق، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة (القاهرة، 1965)، ص 109.

الخليج العربي، وعن هذا الطريق أخذوا يشتركون في التجارة الإسلامية في المحيط الهندي. وفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي عرف أهل عمان بمهارتهم في بناء السفن، التي استخدموها في تجارتهم، وسرعان ما أخذوا يستقرون في شرقي القارة الأفريقية ويشاركون في تنظيم شؤونها[38].

و - دور الجغرافيين والرحالة العرب في كشف القارة الأفريقية:

كان للعرب فضل كبير في كشف القارة الأفريقية، حيث ارتادوا سواحلها وتوغلوا في صحرائها قبل أن تصل إليها الحملات الكشفية البرتغالية بعدة قرون، كما تمكنوا من الوصول إلى غرب وشرق هذه القارة، وقد قام هؤلاء بإعطاء معلومات كثيرة وقيّمة عن مجاهل أفريقيا. مما شجع المسلمين على ارتيادها ونشر الإسلام في هذه البقاع، كما قام هؤلاء الرحالة أيضاً بإمدادنا بالمعلومات عن هذه المناطق بعد انتشار الإسلام وتشكيل الدول والممالك الإسلامية بها، ومدى التقدم والتطور الذي حدث بها نتيجة لانتشار الإسلام والمؤثرات الثقافية والحضارية والاقتصادية، التي أحدثها خلال مراحل انتشاره فيها[39]. ومن أهم الرحالة المسلمين الذين جابوا وكتبوا عنها الرحالة والجغرافي والكاتب العربي المسعودي الذي ولد ببغداد وأمضى عشرين عاماً متجولاً ورحالاً حتى وفاته عام 346 هـ/ 956م، وقد زار مدغشقر وتوغل في المناطق المحيطة بها وترك لنا وصفاً جيداً في كتاباته عن مناطق السودان الغربي وحركة الاتصال بين أجزائه، والصحراء الكبرى عن طريق التجارة، وبالذات تجارة الذهب[40].

(38) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام، ص 29.

(39) غيث، فتحي: الإسلام في الحبشة عبر العصور (القاهرة، 1962)، ص 88.

(40) المسعودي: أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران (بيروت، 1966)، ص 526.

هذا وقد استطاع أن يسافر بنفسه بحراً عن طريق الخليج العربي، متجهاً إلى الجنوب حتى وصل إلى صوفالا على الساحل الشرقي لأفريقيا في موزمبيق حالياً، وذلك في عام 310 هـ/ 922 ميلادي. وقد سجل بصورة واضحة النشاط التجاري المهم في تجارة الذهب والعاج التي كانت تُصدَّر بحراً من صوفالا إلى عُمان، ومنها إلى الصين والهند، وقد كانت تأتي من الظهير الأرضي لصوفالا حيث تُجلَب أصلاً من دول إفريقية كبيرة في روديسيا الجنوبية، وذكر المسعودي أن ملك هذه الدولة يُلقب بعدة ألقاب سامية مثل: ابن السيد الأعظم وإله الأرض والسماء وكان أول الحكام الأفريقيين معرفةً بالعرب، الذين كانوا يترددون على الساحل الشرقي لأفريقيا. وهناك احتمال كبير في أن المسعودي كان يقصد المملكة التي كان حكامها مسؤولين عن المراحل الأولى للمباني الحجرية عند زمبابوي الكبرى[41].

أما الرحالة الثاني فهو أبو القاسم محمد بن حوقل الذي ظهر في القرن العاشر الميلادي، حيث قام بداية من عام 977 م بعدة رحلات إلى أسيا والأندلس، ثم بعد ذلك توجه إلى القارة الإفريقية من الشرق إلى الغرب، وقدم لنا معلومات قيمة عن بلاد الحبشة والبجة وسكانهما، كما كتب وصفاً عن سكان زيلع والنيل الأبيض وأرض الزنج، كما زار النيجر واعتقدَ أنها امتداد لوادي النيل، وفي وصفه أعطانا صورة للمعادن المستغلة، والنواحي الطبوغرافية للأماكن والأراضي التي مرّ بها، كما رسم خرائط لهما، وقد ذكر أن أهالي زيلع كانوا يدينون بالمسيحية في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، وكان يُرجع ذلك إلى أنهم كانوا تحت سيطرة الحبشة، ثم تحول أهلها إلى الإسلام في القرن الثاني عشر الميلادي، وألفوا ما يشبه رابطة إسلامية قوية ضمت إمراء أوفات وهاديا وداوود، كما وصف لنا الطريق الذي قطعه من الفسطاط إلى الإسكندرية، ووصف لنا أيضاً بلاد المغرب والسودان

(41) المسعودي: التنبيه والإشراف (بدون مكان، 1938م) ص 471. كذلك رولاند أوليفر وجون فيج: موج تاريخ أفريقية، ص 51 ـ 52.

الغربي، وقد أورد كل ذلك في كتابه (صورة الأرض)[42].

ويُعدّ أبو عبيد الله البكري (1028 ـ 1094 م) من الرحالة المسلمين الذين لعبوا دوراً بارزاً في هذا المجال، وهو من عائلة عربية كانت تعيش بأسبانيا وبالتحديد من قرطبة وكتب عدداً من المجلدات باسم المسالك والممالك عن بلاد المغرب والسودان، معتمداً على ما توفر من وثائق الأرشيف الرسمي بقرطبة، ويذكر أن تجّار القوافل التي كانت تسير من طرابلس، في اتجاه المناطق الأفريقية عبر مدينة جاد، كانوا يجيدون التحدث باللغة الكانمية إلى جانب اللغة العربية[43]. ويذكر لنا في كتابه (المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب) وهو جزء من كتابه الكبير (المسالك والممالك) أنه حدث قحط في عام من الأعوام في بلاد غانا، وقد حدث لهم الفرج نتيجة دخول ملكهم الإسلام، بناء على نصيحة داعية مسلم زار بلادهم، وتبعته بقية عائلته وقبيلته والقبائل الأخرى[44].

أما الجغرافي محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالإدريسي(493 ـ 560هـ/ 1100 ـ 1164م) فهو رحالة عربي من عائلة عربية بالأندلس هاجرت لشمال أفريقية، وقد ولد الإدريسي بمدينة سبته سنة 493 هـ/ 1100م ودخل في خدمة ملك صقلية روجرز الثاني، وكان مغرماً بالترحال طيلة حياته، رحل إلى أفريقيا عدة مرات حيث كلفه الملك روجر بجمع المعلومات الجغرافية والعلمية عن هذه المناطق، وقد ألف لنا كتابين هامين هما (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) وكتاب (المغرب وأرض السودان ومصر

(42) ينظر ابن حوقل: صورة الأرض، مكتبة الحياة (بيروت، بدون تاريخ) في صفحات متفرقة، كذلك الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (القاهرة، 1350 هـ)، ص 651.

(43) ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (الرباط 1973)، ص.321.

(44) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص323.

والأندلس) قدم فيهما وصفاً شيقاً لهذه المناطق ودروبها، أفاد منه المسلمون فيما بعد عند ترددهم لنشر الإسلام بها[45]، وقد صنع للملك النورماندي خريطة كروية للأرض، وقد أطلق عليها هذا الملك استرابون العرب[46].

ويمكن أن توصف كتابات الإدريسي فيما يخص شرق أفريقيا، بأنها من المصادر الأولية المهمة التي تحدثت عن مدن الساحل وجزره، ومن ذلك كلوه التي ذكر أن لها تجارة مهمة مع سفالة وماليندي التي وصفها بالأزهار[47]، وقال عنها: إنها مدينة الزنج الذين يمتلكون فيها مناجم الحديد ويستخرجونه ويتاجرون في المطاوع منه. كما تحدث عن منبسة واشتغال أهلها بتجارة الحديد مما يدل على الصلات التي كانت قائمة بين شعوب الداخل ومن يفد على الساحل من التجار العرب أو غيرهم[48].

وعلى الرغم من أن الرحالة محمد بن أحمد بن جبير (540 ـ 614 هـ/ 1145 ـ 1217م) قام بثلاث رحلات ما بين أعوام 1182 ـ 1185 م إلى مناطق مصر وساحل البحر الأحمر والحجاز وقوص وعيذاب، إلا أنه لم يتوغل داخل القارة ولكنه قدم لنا وصفاً شيقاً للطرق الموصلة إليها، كذلك فعل أيضاً الرحالة العربي ابن فضل الله العمري فهو لم يزر أفريقيا ولكنه استفاد ممن سبقوه وأعد دراسات جادة ضمنها لنا في كتابه الضخم (مسالك الأبصار في المالك والأمصار)[49].

أما أبو عبيد الله محمد بن بطوطة (703 ـ 779 هـ / 1304 ـ 1377) فهو

(45) ينظر الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحموي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشره دوزي ودي غويه (ليدن، 1966) في صفحات متفرقة.

(46) شوقي الجمل: تاريخ أفريقيا، ص49.

(47) قاسم، جمال زكريا: الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، ص 25.

(48) محمد، سميحة إبراهيم: دولة زنجبار الحديثة في عهد السلطان سعيد بن سلطان، مركز جهاد الليبيين (طرابلس، 2000) ص29 ـ 30.

(49) ابن جبير، محمد بن أحمد: رحلة بن جبير (بيروت، 1981) ص 512.

من أشهر الرحالة المسلمين حيث ولد في طنجة، وطاف معظم بقاع العالم القديم في عهده وله ثلاث رحلات مهمة في الفترة ما بين (1325 ـ 1354م) ففي الرحلة الأولى زار تلمسان وسوسة والإسكندرية وقوص ووصل إلى سواكن ومنها أبحر إلياليمن، ثم عاد إلى شمال أفريقيا الشرقي، فوصل إلى زيلع ويقول عنها: (إن سكانها طائفة من السودان شافعية المذهب، وبلادهم صحراء مسيرة شهرين أولها زيلع وآخرها مقديشيو، وهي مدينة كبيرة وزار مقديشيو وذكر أن أهلها يحترمون الدين والحجاج حيث قال إنه عندما أتى من الحج إلى مقديشيو استقبل بحفاوة بالغة من قِبل سلطانها، حيث مكث في ضيافته عدة أيام، كما زار بعد ذلك كلوه وغيرها من بلاد شرق أفريقيا، وتحدث عما رآه من مظاهر الحضارة في هذه الجهات، أما رحلته الثالثة فقد كانت إلى غرب أفريقيا، إذ أبحر من الأندلس إلى السودان الغربي فوصل إلى سجلماسة، ثم زار بعض السلطنات التابعة لملك مالي ووصل إلى تمبكتو، واتجه شرقاً حيث زار تاكدًا أكبر مدن الطوارق، وأخيراً رجع إلى فاس بعد أن دون انطباعاته وملاحظاته حول هذه المناطق الهامة، في كتابه الشهير (تحفة النظار في عجائب الأمطار المعروف برحلة ابن بطوطة)[50].

ويصف ابن بطوطة نهر النيل فيقول لنا: سرنا من زاغري فوصلنا إلى النهر الأعظم وهو النيل، وعليه بلدة كارْسخُو، والنيل ينحدر منها إلى كابرة ثم إلى زاغه، ثم ينحدر إلى تنبكتو ثم إلى كوْكو ثم إلى بلدة مُولي، وهي آخر عُمالة مالي، ثم إلى يوفي وهي أكبر بلاد السودان، ثم ينحدر إلى بلاد النوبة ثم إلى دنقله، ثم ينحدر إلى جنادل، وهي آخر عُمالة السودان[51]. وتحدث ابن بطوطة عن أهل السودان فقال عنهم: هم أعظم الناس تواضعاً لملكهم وأشدهم تذلّلاً له، ويحلفون باسمه، وتحدث عن القبائل الزنجية التي تقطن أفريقيا الغربية والاستوائية، وذكر بأنهم يلبسون الثياب البيض

(50) ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد: رحلة ابن بطوطة (بيروت، 1966)، ص 211.

(51) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 680 ـ 681.

النظيفة ووصل إلى تغارا، وعجب من بيوتها إذ رآها تبنى من حجارة الملح، يسكنها عبيد مسوفه، وعقد العزم على الوصول إلى مالي، ولم يكد يمضي الطريق حتى عجب من كثرة الأشجار وضخامتها، ولاحظ أن في بعضها فجوات كبيرة يحفظ فيها ماء المطر، وما زال في طريقه حتى وصل إلى زاغه، وهي من البلاد التي دخلها، وظل في رحلته حتى وصل إلى مالي، وذكر أن الناس هناك يواظبون على الصلاة وحفظ القرآن الكريم وخرج من مالي ووصل إلى كوكو، ويقول إنها مدينة كبيرة على النيل[52].

أما حسن الوزان الملقب بليون الإفريقي فقد ولد في غرناطة عام 1493 وقد غادر والده، وهما من المغرب، غرناطة إلى فاس وكانت من أهم مراكز الثقافة الإسلامية فوجد مجالاً مناسباً للإطلاع والثقافة وأظهر ذكاءً خارقاً، وعمل في عدة وظائف وبدأ رحلاته صحبة التجار، وقد أعطته هذه الرحلات معرفة واسعة بالبلاد الإفريقية التي زارها، وأمدنا بمعلومات قيمة عن دواخل أفريقيا لم تكن معروفة من قبل، وزار تمبكتو ووصفها وصفاً شيقاً وقد كانت في ذلك الوقت، في قمة مجدها ثم زار بلاد الهوسا وبورنو.

وبعد ذلك ظهر عبد الرحمن السعدي (1596 ـ 1655م) وهو من أسرة سودانية ولد في تمبكتو وعيّن إماماً في جني، وكانت في ذلك الوقت من مراكز العالم للعلم ثم رجع بعد ذلك إلى تمبكتو وشغل فيها عدة وظائف مدنية وحكومية، وألف كتابه المشهور (تاريخ السودان) حيث تحدث فيه عن الدول التي قامت في السودان الغربي وأمدنا بمعلومات قيمة لا غنى للباحث في تاريخ هذه المناطق، من الرجوع إليها، وإلى مثيلاتها[53].

(52) المصدر نفسه، ص 685 ـ 695.

(53) الوزان، حسن بن محمد: وصف أفريقيا، ترجمة محمد صبحي ومحمد الأخضر (بيروت، 1983/ 2/ 251.

ثانياً: أثر الهجرات العربية على الحياة السياسية في شرق أفريقيا

لقد حرص العرب على توطيد سيطرتهم على مقاطعات الساحل الشرقي لأفريقيا[54]، وأحدث العرب تنظيمات جديدة في المنطقة، وتمكنوا من إنشاء عدة ممالك عربية مستقلة على طول الساحل بفضل تدفق الهجرات العربية، خاصة من البحرين وعمان والأحساء واليمن وحضرموت، وكانت تلك الممالك، أو المدن التي أسسوها تمتد من القرن الأفريقي إلى مدار الجدي، وهي المنطقة التي أطلق عليها جغرافيو العرب في العصور الوسطى اسم (بر الزنج)[55].

ولا شك أن تلك المدن حققت نجاحاً وازدهاراً كبيرين، ولكنها من جهة أخرى افتقرت إلى التنظيمات العسكرية، ويرجع ذلك إلى أنها لم تقم نتيجة لفتح أو توسع حربي، وإنما قام بها تجار أو مهاجرون أو مضطهدون سياسيون أو دينيون، وهؤلاء جميعاً كانت مصلحتهم تقضي أن تكون علاقتهم سليمة، إلى حد كبير، مع الأهالي الذين استقروا في أوطانهم، واستمر السواحليون يعترفون بالسيادة العربية حتى قدوم البرتغاليين الذين استغلوا فرصة التفكك في هذه الإمارات التي بدأت كل إمارة منها تعمل لتتوسع على حساب جيرانها. وعندما وصل البرتغاليون إلى ساحل شرق أفريقيا دهشوا دهشة كبيرة لوجود حضارة مزدهرة، مما جعل بعض الكُتَّاب يصف تلك البيئة بأنها كانت أرقى من البيئة البرتغالية في سنة 1500م[56].

إن القبائل العربية التي هاجرت إلى الحبشة قبل الإسلام كانت تسكن، قبل هجرتها، على الساحل اليمني أو قريباً منه، ومن تلك القبائل: سحرت

(54) أسبر، أمين: أفريقيا والعرب، دار الحقائق (القاهرة، 1980)، ص 14.

(55) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة (القاهرة، 1957) ص 127.

(56) شهاب، حسن صالح: أضواء على تاريخ اليمن البحري (بيروت، 1981) ص 63. وكذلك سميحة محمد: دولة زنجبار الحديثة، ص41.

التي كانت تسكن عند رأس المضيق، ثم قبيلة حبشت وهي أشهرها، وكانت تسكن على الساحل أيضاً. وقد أخذت في هجرتها الطريق البحري الذي يصل إلى خليج مصوع والهضبة. فقد خرجوا منها ومروا بأكسوم وتكازة واحتلوا الجانب الشمالي من الحبشة، وقد أطلق اسم هذه القبيلة (حبشت) على جميع البلاد، بينما كان لسان هؤلاء هو لسان (الجعز) أي لسان قبيلة (الأجاعز) اليمنية القديمة[57].

كانت العناصر العربية المهاجرة من جنوب الجزيرة العربية إلى الحبشة أرقى العناصر جميعاً، وهم حملة الحضارة إلى الحبشة وهم الذين أسسوا الدولة الأكسومية الزاهرة، بعد أن استقروا في الوطن الجديد وتأثروا بطابع البيئة الحبشية، وتفاعلوا مع العناصر الأفريقية والحامية[58]. وبعد وصول المهاجرين العرب إلى شرق أفريقيا، بدأ الأهالي من الأفارقة بالدخول في الإسلام، كما استطاع هؤلاء المهاجرون، تأسيس مجموعة من الوكالات التجارية في ساحل شرق أفريقيا مثل مقديشيو ومالينديي، وممبسة وبمبا وزنجبار وموزمبيق[59]. ونلاحظ أن المهاجرين العرب لم يلبثوا أن اندمجوا في السكان الأصليين، وتزاوج الفريقان، وبمضي الوقت أصبحوا جنساً تبدو فيه الكثير من الصفات والتقاليد العربية الإسلامية[60].

لقد كان التأثير في الجوانب السياسية والإدارية واضحاً من خلال الحكم، فمثلاً كان سلاطين كانم يتوارثون الحكم عن طريق الأمهات، شأنهم في ذلك شأن كثير من المناطق الأفريقية الأخرى، ولكن بانتشار الإسلام وتعاليمه بينهم، أصبحوا يتوارثون الحكم عن آبائهم، كما أخذوا في

(57) عابدين، عبد الحميد: بين الحبشة والعرب (القاهرة، 1947) ص 43.
(58) عبد الحميد عابدين: المصدر السابق، ص 9.
(59) المسعودي: مروج الذهب، 3/ 31.
(60) جوليان، شارل اندريه: تاريخ أفريقيا، ترجمة طلعت عوض أباظة (القاهرة، 1968)، ص 77.

الاعتبار أصلح الأبناء وليس أكبرهم، كما أخذت الشورى طريقها إلى الحياة السياسية، حيث عرفوا مجلس الشورى الذي عُرف بمجلس الأكابر، أو مجلس أرباب الدولة الذي يتكون من أربعة عشر عضواً، وكان يناقش أمور الدولة أثناء السلم والحرب[61]. وبعد ظهور الإسلام، تكونت الممالك الجديدة ذات السمات والخصائص الإسلامية، فحافظ الإسلام على كل مملكة ودولة من هذه الدول، التي أصبحت تكوّن علاقات مع جيرانها من الممالك الأخرى، قائمة على الود والاحترام، حيث يجمعها قاسم مشترك هو الإسلام[62].

كما اتصل الأفارقة بالبلدان الإسلامية خارج أفريقيا وكونوا معها علاقات دبلوماسية، وتأثروا بأنظمتها المختلفة حتى إن البعض من سلاطين الأفارقة، طلبوا من الخلافة العباسية أن تقلدهم السلطنة، لكي يستمدوا حقهم في ممارسة سلطتهم[63]. وإن دل هذا على شيء، فإنما يدل على مدى تأثر هؤلاء الأفارقة، وقناعتهم بالدين الجديد، كما يدل على مدى التأثير الذي أحدثه الإسلام في الحياة السياسية والإدارية في هذه المناطق[64].

لقد زودنا (القلقشندي) بمعلومات مختصرة عن الأنظمة السياسية حيث يقول في هذا الخصوص: كان يوجد بها الوزراء والكُتَّاب والقضاء والدواوين. وهي أنظمة إسلامية عُرفت في مختلف البلاد الإسلامية الأخرى، حيث كان السلطان يعتمد عليها في تسيير شؤون المملكة[65]. وهذه الوظائف

(61) صادق، دولت: شرقي أفريقية دراسة في جغرافية الإسلام، المؤتمر الجغرافي الأول (دون مكان، دون تاريخ)، ص 65.

(62) بولم، دنيس: الحضارات الأفريقية، ترجمة علي شاهين (بيروت، بدون تاريخ)، ص 146.

(63) دنيس، بولم: المصدر السابق، ص 147.

(64) عطية الفيتوري: دراسات في شرق أفريقيا، ص 283.

(65) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا (القاهرة، بدون تاريخ) 5/ 298.

الكبرى كانت موزعة بين كبار زعماء القبائل، وليس لدينا إلا القليل عن النظام الذي كان سائداً في (كلوا)، وكل الذي نعرفه، هو أنه كان لها أمير ووزير، وكان منصب الأمير وراثياً، وهناك موظفون آخرون مثل القاضي والخطيب والمحتسب[66].

لقد غير الإسلام، بعد انتشاره بين القبائل الأفريقية، المفاهيم والأسس والنظم التي كانت سائدة لديهم، فقد حلت الأخوة في الإسلام محل العصبية القبلية، وأصبح الأفريقي المعتنق للإسلام يرتبط بالمسلمين جميعاً بعد أن كان ارتباطه محدداً بأفراد عشيرته أو قبيلته، وذلك تمشياً مع ما نادى به الإسلام ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[67]، وساعد على ذلك ما خلقه الإسلام من ظروف تؤكد هذه الأخوة؛ فالمسلمون جميعاً يعبدون رباً واحداً ويتبعون تشريعاً واحداً، وقد أدى نظام الأخوة في الإسلام إلى إفساح المجال أمام اندماج القبائل والشعوب الأفريقية، بعضها في بعض، وعمل على تشكيل جماعة بشرية متجانسة[68]، وأخذت العصبية تضعف وتختفي وبالتالي استطاع الإسلام تحقيق التوافق والانسجام بين أعداد كبيرة من الناس مختلفة الأعراق والأنساب والمشارب[69].

ثالثاً: أثر الهجرات العربية على الحياة الدينية في شرق أفريقيا

لقد أنشأ الإسلام في أفريقيا تيارات جديدة، كان لها رد فعل شديد في طول القارة وعرضها؛ ذلك لأن الإسلام لم يكن عقيدة فحسب، بل هو

(66) آرنولد: الدعوة الإسلامية، ص 275.

(67) سورة الحجرات، من الآية 10.

(68) الحداد، محمد أحمد مشهور: حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في أفريقيا الشرقية، دار الفتح (جدة، 1973)، ص 37.

(69) زناتي، محمود سلام: الإسلام والتقاليد القبلية في أفريقية (القاهرة، 1992) ص 247.

قانون وعادات ومثل أخلاقية عليا، ووحدة سياسية وحضارة، وبناء اجتماعي على أساس الكتاب الكريم، وما جاء فيه من آيات بيِّنات، غرست فكرة الأمة في قلوب المسلمين السود في أفريقيا؛ لتقارب بينهم، ولم يدخل الإسلام على شرق أفريقيا بحد السيف، بل كان للتسامح والعدل المتصلين بالبساطة والمنطق السليم، أكبر الأثر في إقبال الناس على اعتناقه، كما لعبت التجارة دوراً أساسياً في انتشاره، إذ إن أكثر المسلمين احتكاكاً بالعناصر المختلفة من مسيحيين ووثنيين، هم التجار الذين جابوا المناطق المختلفة؛ سعياً وراء التجارة ومصادر الرزق، فكان هؤلاء التجار هم دعاة الإسلام أينما تغلغلوا في أفريقيا، وبعد دخول هذه الفئة إلى الإسلام الذي نجح في قلب نمط وسلوك معتنقيه رأساً على عقب، تغيَّر سلوكهم وطبائعهم، ومعتقداتهم البالية، وقواعد حياتهم، فأصبحت تسير وفق المبادئ الإسلامية السمحاء، ووفق ما تمليه قواعد الدِّين الإسلامي، ونصوص القرآن الكريم والسُّنة النبوية، فكان التجار يمثلون فئة من هؤلاء الأفراد الذين غيَّر الإسلام نهائياً من أنماط حياتهم وسلوكهم[70].

تلقى أهالي شرق أفريقيا الإسلام على يد التجار العرب المسلمين، الذين كانوا يحرصون على أداء مناسك دينهم في مواقيتها، ومن العوامل التي أدت إلى انتشار الإسلام إباحة الزواج لأكثر من واحدة، كذلك اختلاط العرب المسلمين بالأهالي واندماجهم في يسر وتسامح، وإيمان المسلمين الوافدين بأنهم مجاهدون في سبيل نشر الدعوة الإسلامية[71].

كل هذه العوامل جعلت الأفريقيين يسارعون إلى اعتناق الإسلام عن حب، ورضاء وطواعية، ولم يُكره أحد منهم على الدخول فيه، لأن الإكراه ضد طبيعة هذا الدين[72]. فالإسلام في شرق أفريقيا، لم يتغلغل في

(70) أحمد العمري: الأفريقيون والعرب، ص 135.

(71) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، 4/ 709.

(72) ترمنجهام سبنسر: الإسلام في شرق أفريقيا، ص 271.

مجتمعات قائمة فعلاً، بل خلق مجتمعاً جديداً، فلقد جلب القواعد والقوانين، التي عدلت من حياة الأفريقيين، وعلى الرغم من أن حضارة شرق أفريقيا، قابلتها بعض المعوقات، إلا أن صرحها قد نهض قائماً على أساس دعائم الإسلام الأصلية[73].

في المراحل الأولى من دخول الإسلام في شرق أفريقيا، كان التركيز واضحاً، على وحدانية الله، والإله الواحد، وكان المذهب الشافعي هو المذهب السائد في شرق أفريقيا، حتى أصبح لأصغر المجموعات المكونة من ستة منازل، مسجد[74]. ومن المعالم الدينية الإسلامية في شرق أفريقيا، تلك الحلقات الدراسية، التي تُلقى فيها المحاضرات، لتدريس اللغة العربية، وتفسير القرآن والفقه لعامة الناس، وأثَّر دخول الإسلام على التقويم المحلي الذي يمارسه الأهالي، فحياة سكان المدن أصبحت تقوم على التقويم الإسلامي القمري (السنة الهجرية)[75].

وقد كانت الدعوة الإسلامية تتخذ من المساجد مركزاً لها على الساحل الشرقي الأفريقي، حيث انتشرت المساجد التي بناها المسلمون الأوائل، وما تزال في مقديشيو، في الصومال، بقايا مسجد، بُني سنة 637هـ / 1239م، كما هو مكتوب على جدرانه، وفي زنجبار يوجد مسجد (كازي مكازي)الذي بُني سنة 500هـ/ 1106م، وكُتب عليه بالخط الكوفي، أسسه أبو عمر بن الحسن سنة 500هـ[76]، كما شيدت عدة مساجد، ومبان جميلة، وأهم خصائص تلك المباني استخدام العقد المحدَّب، والحجر المنحوت، كما امتازت المساجد بالزخارف، والنقوش البديعة، واستخدام الأعمدة والقباب[77]. وانتشرت مع

(73) آرنولد: الدعوة الإسلامية، ص 277.

(74) المصدر نفسه، ص268.

(75) المصدر نفسه، ص 278.

(76) قاسم، عون الشريف: دراسات أفريقية، العدد السادس (بدون مكان، 1990) ص 43.

(77) انظر: رحلة ابن بطوطة، ص 57.

الإسلام بأفريقيا، أحكام الشريعة الإسلامية في مختلف الشؤون، فعرف الأفريقيون، نظام الفصل بين السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية، وعرفوا الزكاة، وكانوا من قبل يأنفون من نظام الضرائب، واتبعوا بدقة قوانين الإسلام في الأحوال الشخصية، كالزواج والطلاق وقوانين الإسلام في المال، وأصبح الربا ممنوعاً، وأخذوا بنظام الميراث الإسلامي، واتبعوا نظام الإسلام في الجنائز والموتى[78].

وفي مجال حقوق المرأة طرأ تحسن كبير على أوضاع النساء بعد اعتناق الأفارقة الإسلام؛ فالمهر، في التقاليد القبلية، حق لأولياء المرأة، ليس للمرأة فيه نصيب، والإسلام يستتبع عاجلاً أو آجلاً إعطاء المرأة الحق فيما يدفع من مال بمناسبة زواجها . وليس للمرأة، في التقاليد القبلية، كقاعدة عامة، حق في الميراث، لا سيما فيما يتعلق بمظاهر الثروة الرئيسية، وهي الماشية في المجتمعات الرعوية، والأرض في المجتمعات الزراعية. وأدى اعتناق الإسلام إلى الاعتراف بحقوق المرأة في الحصول على نصيب من التركة. وفي التقاليد القبلية، لا يُقرّ ـ في المجتمعات الأبوية ـ للمرأة الحق في حضانة أولادها، اللهم إلا بالنسبة للرضيع حتى فطامه. واعتناق الإسلام يؤدي إلى تخويل المرأة الحق في حضانة أولادها لفترة أطول[79]، وهو ما طبق بين الأفارقة المسلمين.

وكان أول تأثير للإسلام أن النظام القبلي التقليدي بدأ يتفكك تدريجياً، وبدأ الإسلام يقضي على التكتلات القبلية العنصرية، وأوقف التناحر القبلي بين القبائل التي دانت به؛ لأنه أصبح رابطة أقوى من الرابطة القبلية؛ فالإسلام يقوي الشعور بالوحدة، ويؤلف بين القلوب من أفراد القبائل المختلفة، ثم إن الإسلام لا يُقيم وزناً لحواجز اللون والجنس والقبلية،

(78) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص 45.

(79) محمود زناتي: الإسلام والتقاليد القبلية، ص 258.

وهذه الرابطة الدينية ساعدت على توحيد قبائل ومجتمعات أفريقية في دول مستقرة[80]. فأصبحت هذه القبائل والمجتمعات أمة واحدة، وبقيام هذه الأمة ازداد النشاط والمعرفة، وقلت التفرقة والكراهية والسلب والنهب بين القبائل[81]. وكان الإسلام بالنسبة للوثنيين الأفريقيين خطوة نحو الحضارة والرقي، واعتبروه خطوة بنَّاءة في سبيل تطور المجتمع الأفريقي في كثير من نواحيه، فقد تغيرت ملامح المجتمع الأفريقي بعد دخول الإسلام[82].

كما أحدث الإسلام تطورات كبرى في حياة وعادات وتقاليد الأفارقة، فاختلفت بتغلغل الإسلام، أقبح العادات الوثنية، مثل: تقديم القرابين البشرية، وقضي أيضاً على السحر والشعوذة والخمر والمنكر، وأنهى نظام سيادة المرأة، وحلَّ محله الرجل ربّاً للأسرة، وزعيماً للعشيرة، تلك الشرور التي كانت منتشرة في شرق أفريقيا اختفت فجأة وإلى الأبد . والأهالي الذين كانوا يعيشون في ذلك الوقت عراة أو شبه عراة، بدءوا يرتدون الملابس، بل أخذوا يتأنقون في ملابسهم ويغتسلون؛ لأن الشريعة الإسلامية تأمر بالطهارة والنظافة[83].

رابعاً: أثر الهجرات العربية على الحياة الثقافية والاجتماعية في شرق أفريقيا

لقد أدى ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي إلى ازدياد وشائج الاتصال العربي الأفريقي؛ فقد أمدَّ الإسلامُ العربَ بسياج ديني وفكري، ساعدهم على خلق وحدة وطنية وازدهار نهضة ثقافية. ومنذ البدء صار

(80) عودة، عبد الملك: العرب وأفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، 1984 م) ص 12.

(81) سبنسر ترمنجهام: الإسلام في شرق أفريقيا، ص 67.

(82) عبد الملك عودة: المصدر السابق، ص 13.

(83) الخشاب، وفيق وإبراهيم المشهداني: أفريقيا جنوب الصحراء (بغداد، 1978 م) ص 22.

الإسلام الركيزة الأساسية للثقافة العربية الجديدة، كما أصبحت اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وعاء الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية. وتحت راية الإسلام تمكن العرب في فترة وجيزة، من نشر الإسلام في أجزاء كبيرة من القارة الأفريقية. وأدى هذا التطور، والتقدم الكبير في حياة العرب إلى حدوث نقلة نوعية في تاريخ العلاقات الثقافية بين العرب والأفارقة، ففوق دعائم التعامل التجاري والهجرات البشرية قام العرب بدور إيجابي في نشر العقيدة الإسلامية، وبسط نفوذها السياسي في أفريقيا، وساعد انتشار الإسلام إلى رواج كثير من مظاهر الثقافة العربية كاللغة وتمثل النسب العربي. وعليه أعطى الإسلام هذه العلاقات بعداً عقائدياً وأعطتها اللغة العربية محتوى لغوياً وثقافياً عظيماً[84].

وكان المجتمع العربي الجاهلي يزخر بمجموعات أفريقية استقرت بين العرب، وانصهرت في بوتقة القبائل العربية عن طريق الولاء والانتماء الكامل، ولا شك أن بعض هذه المجموعات شقت طريقها إلى الجزيرة العربية لعوامل غير الرق والغزو . وقد تمثلت هذه المجموعات الأفريقية التي وفدت من الساحل الأفريقي، الثقافة العربية تمثلاً كاملاً، ولم يعد هناك ما يدل على أصولها الأولى سوى سواد بشرتها. وربما لم يكن عددها كافياً لإحداث تغيير جذري في المجتمعات التي استقرت فيها . وبسبب هذه الاتصالات وجدت بعض الألفاظ والاصطلاحات الحبشية طريقها إلى اللغة العربية[85].

تحدث العرب بالحبشة بلغات ولهجات قريبة الشبه من اللغة العربية الجنوبية، لغة اليمن القديم. وأقدم لغة عربية معروفة هناك هي لغة (الجعز) نسبة إلى قبيلة الأجاعز بين صنعاء وعدن، ولهم نقوش تذكرهم في اليمن

(84) يوسف فضل حسن: الجذور التاريخية، ص 28 ـ 29.

(85) المصدر نفسه ص 28.

والحبشة[86]. واستخدم العرب في أيامهم الأولى بالحبشة، اللغة والخط السبئي، وقد نقل هؤلاء إلى الحبشة أسماء مواطنهم الأصلية، وأطلقوها على مواطنهم الجديدة، فنجد أماكن مثل: أوام ومدري وقلي وظهر وسحرت وحوزين[87].

وقد تدفقت عن طريق مصر، وعبر البحر الأحمر المؤثرات العربية الإسلامية بقوة إلى سوادن وادي النيل. وقد أدى دخول العرب في أعداد كبيرة إلى نتيجتين مهمتين، أولاً: غلبة الثقافة العربية، واللسان العربي على أجزاء كبيرة من البلاد، وثانياً: انتشار الإسلام بين الوطنيين الذين كانوا يؤمنون بالمسيحية وبعض المعتقدات الأفريقية. وكانت عملية التحول في الحالتين بطيئة، يغلب عليها الطابع السلمي. وقد صار الإسلام عامل ربط اجتماعي مهماً بين شعوب سودان وادي النيل، ذات الجذور العرقية المتباينة والثقافات المتنوعة واللغات المتعددة. وقد أدى تفاعل الثقافة العربية الإسلامية مع الموروثات الوطنية إلى بروز مراكز قوى جديدة اقترنت بقيام دولة إسلامية، كالعبدلاب والفونج والفور وتقلى. وقيام هذه السلطانات الإسلامية خير دليل على غلبة الثقافة الإسلامية على هذه المنطقة؛ وبعد العرب قام جيل من المولدين المستعربين من النوبة، وبعض أفراد المجموعة الجعلية ذات الأصول العربي، بنشر الإسلام في المناطق التي لم تبلغها الدعوة بعد[88].

والثقافة العربية في شرق أفريقيا تأثرت بموقع المدن الإسلامية وطبيعة الحياة فيها، فالمدن التي قامت على الشاطئ الشرقي لأفريقيا كانت على صلة وثيقة بالعالم الإسلامي كله، هذا الاتصال المستمر ترك أثره في الحياة الثقافية في البلاد، فقد نزحت إليها جميع الفرق والمذاهب التي عرفتها الحياة

(86) الأحمر، امحمد مصباح: أفريقيا والعرب (طرابلس، 1999) ص 42.

(87) امحمد الأحمر: المصدر السابق، ص 42.

(88) يوسف فضل حسن: الجذور التاريخية، ص 37.

الإسلامية مثل الزيدية، كما أن علماء وفقهاء اليمن أكثر المسلمين وفوداً إلى هذه الجهات، فطبعوا الحياة بطابعهم، وأثروا في الحركة الثقافية تأثيراً واضحاً[89].

وقد غلب الطابع الديني على الثقافة الإسلامية في هذه البلاد، حيث إن مدن شرق أفريقيا لها جوامعها ومساجدها التي تقام فيها الخطب والجمع، وعند أهلها محافظة على الدين، فالحركة التعليمية كانت مصحوبة بطابع تعليمي واضح[90]. وقد ترتب على انتشار الإسلام في شرق أفريقيا نتائج عميقة في المجتمعات التي انتشر فيها، في سلوك الناس ومعاملاتهم، وفي ثقافتهم وعلاقاتهم مع بعضهم البعض، وقامت في هذه المناطق التي استوطنها المسلمون وحدات سياسية، وحكومات لها أنظمتها وحاولت هذه الحكومات أن تطبق مبادئ الشريعة الإسلامية[91].

وأصبحت هذه الإمارات العربية مزيجاً يجمع، في أنظمتها، بين أشياء أفريقية أصيلة، وأشياء عربية إسلامية، وأصبحت اللغة السائدة أفريقية عربية، وهي اللغة السواحلية، وانتشرت هذه اللغة على طول الساحل الشرقي للقارة الأفريقية، وكانت غنية بالأدب والشعر لتأثرها بالعربية[92]، كما أن الأفعال فيها مستمدة من اللغة العربية، ثم إن طريقة كتابتها، من اليمين إلى الشمال، كاللغة العربية، فضلاً عن حروف هجائها، والكثير من الألفاظ العربية فيها.

ولعل من أهم نتائج التواصل العربي/ الأفريقي لبضعة قرون، نشأة الثقافة السواحلية. وقد ظهرت هذه الثقافة حوالي القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وتركزت في منطقة شرق أفريقيا وبعض جزر المحيط المجاورة،

(89) محمود الحداد: حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في أفريقية، ص 125.

(90) محمود الحداد: المصدر السابق، ص 126.

(91) الجمل، شوقي وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم: تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة (القاهرة، 1966) ص6.

(92) ذياب، أحمد إبراهيم: لمحات من تاريخ أفريقيا الحديث، دار المريخ (الرياض، 1981م) ص 73.

واتسعت دائرة اللغة السواحلية في العهد الاستعماري، فشملت أجزاء من وسط أفريقيا. وفي عام 1960 اعتمدتها جمهورية تنزانيا المتحدة لغة قومية. ونشأت الثقافة السواحلية من تلاقح مؤثرات أفريقية وعربية وفارسية في جوٍّ إسلامي. والسواحلي هو هجين، عربي ـ أفريقي، ويقدر بعض الباحثين أن السواحلية لغة أفريقية تركيباً، ولكنها اقتبست كثيراً من الكلمات الأجنبية، وجلَّ هذه من اللغة العربية. وقد كُتبت السواحلية أصلاً بالحرف العربي، مثل كثير من اللغات الأفريقية ذات المنبت المماثل، ولكن بعد وقوع شرق أفريقيا فريسة للهجمة الاستعمارية، استبدل بالحرف العربي الحرف اللاتيني، مما باعد بينها وبين جذورها العربية. كما أن بعض الكتَّاب الأفارقة يتعمدون تجاهل الكلمات ذات الأصول العربية، ويستبدلون بها أخرى من أصل إنجليزي. ويأتي هذا الصنيع في إطار محاولتهم لتقليل الأثر العربي في الثقافة السواحلية بصفة عامة، وفي نعتها بصفة خاصة[93]. وهكذا تطورت العلاقات العربية بشرق أفريقيا، وانتشر الإسلام واللّغة العربية بين السكان، ولعب العرب دوراً كبيراً في تحفيظ القرآن، وشرح تعاليم الشريعة الإسلامية للأهالي[94].

وكان من نتيجة انتشار الإسلام في المنطقة أن انتقلت إليها مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، فاهتم السكان في المنطقة ـ على اختلاف عناصرهم ـ بالعلوم الدينية واللغة العربية، كما تجلت الحضارة العربية في شرق أفريقيا في المباني المعمارية وتخطيط المدن وزخارف الأبواب والشبابيك، كما أدخل العرب فن النقش والحفر والنحت والفسيفساء المتحدة مع الرخام الملون، وظهر ذلك بوضوح في قصور (كلوة) ومساجدها[95].

(93) يوسف فضل حسن: الجذور التاريخية، ص 33.

(94) أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص 396.

(95) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، 1/ 185.

ومما يدل على عراقة الصلة بين شبه الجزيرة العربية، وأفريقيا شدة التشابه العرقي واللغوي والثقافي بين الشعوب الناطقة باللغات الحامية أو الكوشية، والشعوب الناطقة باللغات العربية (كالعرب والأمهرة والتقري). وهذا التشابه جعل بعض الباحثين يرجحون أن هاتين المجموعتين قد عاشتا في موضع واحد، وربما تنتميان، مع أصولهما البعيدة، إلى شعب واحد. وتنتشر المجموعة الناطقة باللغات الحامية على السواحل الشرقية والشمالية لأفريقيا، وتتكون من الصومال والقالا والعفار وبعض الارتيريين والبجة والنوبيين وقدماء المصريين والبربر، ويضم بعض هذه اللغات قدراً طيباً من الكلمات العربية. وتؤكد هذه الصلات العرقية واللغوية ـ أنَّى كانت درجتها بين جزيرة العرب، وسواحل أفريقيا الشرقية ـ أن تبادل التأثير الثقافي بين المجموعتين ذو جذور عميقة[96].

كما كان للعرب وللإسلام تأثير واضح على الحياة الاجتماعية لسكان الساحل الشرقي لأفريقيا؛ فقد اختلطت القبائل العربية بقبائل البانتو الزنجية، وكانت نتيجة هذا الاختلاط ظهور شعب الصومال الذي جاءت ملامحه قريبة جداً من الملامح والتقاطيع العربية[97]. كما كان لتحول غالبية السكان في شرق أفريقيا إلى الإسلام أثر بعيد في حياتهم الاجتماعية والثقافية، ولكن يبدو أن هذا التعبير والتأثير لم يكن سهلاً، ولم يحدث سريعاً كانتشار الدين ذاته؛ وذلك يعود إلى الرواسب والتقاليد والأعراف الاجتماعية الموروثة جيلاً بعد جيل[98].

ولا شك في أن هجرة المسلمين إلى شرق أفريقيا، واستقرارهم على أرض القارة بأعداد كبيرة، وما تبع ذلك من اندامجهم في السكان الأصليين،

(96) يوسف فضل حسن: المصدر السابق، ص 27 ـ 28.

(97) محمود زناتي: الإسلام والتقاليد القبلية، ص 27.

(98) رفلة، فيليب: الجغرافية السياسية الأفريقية، مكتبة الوعي العربي (القاهرة، 1965 م) ص 174.

وتزاوجهم معهم - ترتّبت عليها نتائج مهمة وعميقة، مثل: وجود جنس تبدو فيه كثير من الصفات والعادات والتقاليد العربية، وبذلك أصبحت الإمارات التي كوّنها العرب في شرق أفريقيا مزيجاً يجمع، في أنظمتها، بين أشياء أفريقية وأشياء إسلامية[99]. وأشار (ابن بطوطة) الذي زار مقديشيو إلى أن أهلها يحترمون الدين والحجاج، حيث قال: إنه عندما أتى من الحج إلى مقديشيو، استُقبل بحفاوة بالغة من قِبل سلطانها. كما أشار إلى أن المسلمين في هذه المناطق لم ينسوا تقاليدهم العربية، وما اعتادوا عليه من إكرام الضيف[100].

ومن الشمال الأفريقي توغلت المؤثرات الإسلامية العربية عبر الصحراء إلى بلاد السودان، حيث نشأت السلطنات السودانية الإسلامية التي جمعت في نظمها السياسية بين أنماط محلية ونظم إسلامية. وفيها تفاعلت الثقافة العربية الإسلامية مع المؤثرات الأفريقية. ونتيجة لهذه الجهود اتسعت رقعة الإسلام حتى شملت معظم الجزء الشمالي من القارة، كما غلبت على بعض الجيوب في السواحل الشرقية من الجزء الجنوبي. وكان لهؤلاء المسلمين دور بناء في تاريخ المنطقة، كما صاروا يشكلون مركز ثقل سياسي مهم فيها. وقد ظلوا على صلة وثيقة بالوطن العربي: في المشرق وشمال أفريقيا؛ وذلك بفضل العلاقات الدينية والصلات الثقافية، والبعثات التعليمية والتعامل التجاري الواسع في الماضي، وما جدَّ من تعاون سياسي واقتصادي في الوقت الحاضر[101].

وبعد انتشار الإسلام بين الأفارقة، على أثر توسع العلاقات الاقتصادية والتجارية والثقافية بينهم وبين المسلمين، أتيحت للأفارقة فرصة الإفادة من الأدباء والفنانين والعلماء والصنّاع المسلمين، وقد ظهرت بين الأوساط

(99) شاكر، محمود: تانزانيا، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1971)، ص 7.

(100) ينظر ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 253.

(101) يوسف فضل حسن: انتشار الإسلام في أفريقيا (الخرطوم، 1979) ص 2 - 5.

الأفريقية مبادئ جديدة في العلاقات الاجتماعية؛ كالحدّ من الرِّق وتعدد الزوجات، وقُضي على فوضى اقتناء النساء، خاصة عند رؤساء العشائر، وجُعل العدل بينهن، فيما يتعلق بالأموال التي يخصصها لهن الزوج أو الهدايا أو الأيام التي يقضيها في بيت كل واحدة منهن ـ أساساً للتعدد[102]، وذلك امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾[103]. لقد أثر الإسلام في الحياة الاجتماعية، العامة والخاصة حيث اختفت حدة التناحر والصراع بين القبائل والعشائر، وأصبحت العلاقات متأثرة بالحضارة الإسلامية ونظمها، ولقد كانت الحضارة الإسلامية من أهم العوامل التي أسهمت في حل معظم المشكلات التي واجهت الإمارات الأفريقية[104].

ويقول توماس آرنولد، في كتابه الدعوة الإسلامية، في أثناء حديثه عن انتشار الإسلام وثقافته وأثره على سلوك الأفارقة الاجتماعي: (إن الذين اعتنقوا الإسلام، يختلفون اختلافاً واضحاً عن القبائل الوثنية التي أفسدت أخلاقها تجارة الخمور وشربها، فأولئك الذين اعتنقوا الإسلام يمثلون حضارة أرقى، فاختفت من بينهم الوحشية، وزالت العادات السيئة، بسبب تعاليم الإسلام، وأصبحت النظافة عندهم عادة، على حين دل مظهرهم الخارجي على وقار زائد وأدب جم)[105].

وعلى أثر تزاوج المسلمين الوافدين مع السكان المحليين برز مجتمع سوداني إسلامي، جديد، تمتزج فيه الثقافة الإسلامية والأفريقية العربية[106]،

(102) أمين أسبر: أفريقيا والعرب، ص 20.

(103) سورة النساء، الآية 3.

(104) عطية الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص 104.

(105) آرنولد: الدعوة الإسلامية، ص 973.

(106) بشير، محمد عمر: العلاقات العربية الأفريقية (الخرطوم، 1984) ص 31.

ومن آثار العرب في المنطقة أن السكان أصبحوا يرتدون زي العرب، هكذا نجح العرب في توطيد علاقاتهم بأفريقيا في العصور الوسطى سواء في الشرق أم في الغرب أم في الوسط، ومع توطيد العلاقات الاقتصادية والثقافية انتقلت الأفكار العربية والحضارة العربية إلى الشعوب الأفريقية[107]. وهكذا يتضح لنا جلياً الأثر العظيم الذي أحدثته الهجرات العربية في الحياة الثقافية والاجتماعية في شرق أفريقيا.

خامساً: أثر الهجرات العربية على الحياة الاقتصادية في شرق أفريقيا

من الأسباب الرئيسية التي دفعت سكان السواحل العربية للخروج من شبه جزيرتهم ـ أنهم نشأوا في بيئة بحرية مثالية في جنوب الجزيرة العربية، فكان طبيعياً أن يتسللوا إلى شرق أفريقيا في مجموعات صغيرة، انتشرت في بادئ الأمر في بعض الجزر الساحلية، مثل زنجبار وفي المراكز الساحلية مثل كلوة وممبسة ودار السلام، واستطاعت هذه المجموعات أن تطبع مناطق واسعة من شرق القارة بلغتها وديانتها، وأن تندمج مع السكان الأصليين. وهكذا أصبحت السفن العربية تحمل بين حين وآخر، بعض الذين طاب لهم الاستقرار بالساحل الأفريقي للاتجار، وليكونوا حلقة اتصال بين إخوانهم في الجزيرة العربية، وسكان السواحل الأفريقية والجهات الداخلية فيها. وبمضي الزمن، زاد عدد الوافدين للاستقرار، وزادت العلاقات مع الداخل والتوغل فيه، وتشعبت المصالح وأصبحت للعرب إمارات عربية في هذه السواحل الأفريقية، لها اتصالات بالتجار في هذه القارة. وقد كان الغرض التجاري هو الغالب على هذه الجماعات العربية المهاجرة للسواحل الأفريقية، فلم تكن الفكرة فكرة استعمارية، أي استغلال الأرض ثم الانتشار منها للداخل، ولهذا

(107) محمود زناتي: الإسلام والتقاليد في أفريقية، ص 40.

كان الاستقرار على الساحل فحسب، وفي نقط مختارة تخدم هذا الدافع التجاري[108].

وأدت الهجرات العربية الإسلامية، إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، إلى تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى، ففي المجال الاقتصادي قام العرب بنقل حاصلات المنطقة من العاج والذهب وريش النعام والعسل والجلود والموز واللؤلؤ والصمغ، إلى البلدان المطلة على المحيط الهندي، كما ظهرت هذه السلع في الأسواق العربية في الشام والعراق، وفي القرن الرابع الهجري/العشر الميلادي كانت بيوت سيراف على الساحل الشرقي للخليج العربي تبنى من أخشاب زنجبار[109].

وفاق العرب هذا الشعب الإفريقي في التجارة، لأنهم أحسن منهم نظاماً وأكثر مالاً، فبينما اقتصر الأفارقة على تجارة المنسوجات وعقود الخرز، استطاع عرب السواحل أن يحملوا تجارة الأسلحة النارية، والذخائر التي أقبل عليها الحكام الأفارقة بشغف شديد. وقد أسس العرب، إلى حد ما، نظاماً سياسيّاً في الداخل، فكانت هناك بعض النقط الرئيسية القليلة، مثل تابورا في إقليم أنيامويزي وأوجيجي على بحيرة تنجانيقا، مخازن تجارية منظمة، حيث كان للعرب حقوق تشبه الامتيازات الأجنبية، وكانت هناك حالات معينة استطاع فيها العرب أن يقهروا الحكام المحليّين، ويستولوا على السلطة مثل تنجانيقا وأنياموز أيضاً[110]. غير أن هذه الأحوال كانت أحوالاً شاذة، إذ كان العرب ـ عامة ـ يحصلون على ما يريدون من رقيق وعاج عن طريق التجارة، وليس عن طريق القوة . وكانوا يسلحون الحكام الوطنيين وهؤلاء يقومون ببقية المهمة، وكانت النتيجة أن أصبح القوي أكثر قوة على حساب الضعيف الذي ازداد ضعفاً، ففي جنوب تنجانيقا كان زعماء ياو

(108) شوقي الجمل: تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، ص 38.

(109) شاكر، محمود: نيجريا، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1971)، ص 12.

(110) أحمد العمري، الإفريقيون والعرب، ص 113.

الأقوياء يبيعون رقيقهم للتجار العرب بأسعار مغرية، ويأخذون في مقابل ذلك أسلحة لمعسكراتهم، وملابس لجنودهم ورجال بلاطهم[111].

وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم مسألة استقرار العرب في شرق أفريقية، وأن ازدهار التجارة العربية قد ازداد بعد ظهور الإسلام في شرق أفريقيا ازدياداً عظيماً، وتأسست في نحو القرن العاشر الميلادي (مقديشيو وبراوا)، وفي سنة 975 م جاء الفرس من شيراز، وأسسوا (كلوه) وتوغلوا في معظم السواحل إلى روديسيا طالبين الذهب، وانتشروا على طول الساحل الشرقي، ووصلوا إلى مقديشيو - وبراوا - وبمبا - وماليندي - وتونغوني - وزنجبار - ومافيا - وغيرها، وقد وجدت إمارات فارسية صغيرة بين الإمارات العربية[112].

وتروي آثار المنطقة أنه في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، حتى وصول البرتغاليين في نهاية القرن الخامس، كان يخيم على ساحل شرق أفريقية هدوء وسلام شاملان[113]. ووجدوا فيها المدنية الإسلامية مؤسسة، ولم يقتصر هؤلاء العرب والفرس على التجارة في أعمالهم هناك، بل اشتغلوا بالزراعة وعلّموا غيرهم وغرسوا عدداً لا يحصى من أشجار جزيرة العرب وفارس، منها الرمان وقصب السكر، وأدخلوا زراعة القطن والسمسم الهندي والبهارات الهندية والأرز، وأتوا بكثير من حيوانات بلدانهم، ولقد كانت كلوه في تنجانيقا، وغيده في كينيا أكبر مدن شرقي أفريقيا القديمة الآهلة بالسكان، الأكثر ازدهاراً وازدحاماً بالعرب. وبقيت المدنية العربية الإسلامية قروناً طويلة محصورة في شواطئ السواحل، لكنها في القرن التاسع عشر أدخلها العرب الأمجاد من أهل عمان إلى الداخل[114]. وفي

(111) حسين، أحمد الياس: سلع التجارة الصحراوية، تحرير عماد الدين غانم (طرابلس، 1979)، 225.

(112) شوقي الجمل: دور العرب الحضاري في أفريقيا (القاهرة، 1987)، ص 135.

(113) أوليفر، رولاند وجون فيج: موجز تاريخ أفريقية، ص 110.

(114) محمد الحداد: حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في أفريقيا الشرقية، ص 13.

بداية القرن الثالث عشر الميلادي كانت معظم تجارة المحيط الهندي تمر عبر الأراضي الإسلامية، وكانت الاستفادة منها تتطلب تعاوناً جديداً. ففي هذه الفترة ظهر الأثر الديني واضحاً، فانعكس على المساجد والمقابر الإسلامية على طول الساحل. وربما بدأت اللغة والحضارة السواحلية تتخذ طابعها، وتنتشر بين مسلمي البانتو على السهل الساحلي[115].

وتشير الوثائق التاريخية إلى وجود اتصالات بين الحضارة الإسلامية على الساحل الشرقي، والداخل الإفريقي الشرقي، ففي بيئة البانتو تعيش العناصر الصومالية السواحلية التي عملت في التجارة بعد دخولها الإسلام، فتبادلت التجارة برّاً مع الجالا الوثنين في جنوب مملكة الحبشة، كما حدث اتصال بحري مع جماعات جنوب كلوه، واتصالاً برياً آخر، في مناطق الذهب على الساحل وفي روديسيا، ومناجم النحاس في كاتنجا[116]. وفي هذه الفترة كان الاحتلال البرتغالي قد سيطر على ساحل زنجبار، ولم تكن لهذا الاحتلال آثار عميقة في الساحل، وقد انعدمت تماماً في الداخل، إذ كانت أهداف البرتغاليين السيطرة على التجارة البحرية، وأخذها من أيدي التجار العرب، ولم يجعلهم هذا الهدف، في السنوات الأولى من القرن السادس عشر، يذهبون إلى الهند الشرقية فقط، بل إلى الساحل الشرقي لأفريقية، وإلى مفتاح البحر الأحمر والخليج العربي، فشيدوا عندها قواعدهم في صوفالا وكلوه وسومطرة وهرمز[117].

اعتمدت إمارات الطراز الإسلامي[118] السبعة (ممالك الزيلع)، فيما

(115) لويد، ب.س: أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي (الكويت، 1980)، ص 27.

(116) ويرنز، دونالد: تاريخ أفريقيا ـ ترجمة راشد البراوي (بيروت، بدون تاريخ)، ص 77.

(117) شارل جوليان: تاريخ أفريقيا، ص 48.

(118) إمارات الطراز الإسلامي السبعة هي: أوفات ودوار وأرابيني وهديا وشرحا وبالي ودارة. وقد سميت بذلك نتيجة لموقعها من البحر، لأنها على جانبه كالطراز له . ينظر القلقشندي: صبح الأعشى، 5/ 324.

يتعلق بالناحية الاقتصادية، على التجارة عنصراً مهماً في اقتصادها، ولعبت دور الوسيط التجاري بين الأحباش في الداخل، ومنطقة الساحل، وهيأت بذلك لربط التجارة الحبشية بالتجارة الدولية، عن طريق العرب الذين أصبحوا يسيطرون عليها بعد اتساع الدولة الإسلامية، وسيطرتها على منافذ البحر الأحمر والبحر المتوسط[119]. كذلك ازدهرت مدينة زيلع وبربرة؛ لوقوعهما في منطقة تمتاز بقربها الشديد إلى الجزيرة العربية، وأصبحت محطة للسفن تحمل البضائع إلى الساحل، ومنها إلى دواخل الحبشة، كذلك قامت مصوع بالدور التجاري المهم نفسه؛ لقربها من هضبة الحبشة[120] التي أصبحت لها الظهير الذي يمونها بالسلع التجارية، وما تحتاج إليه من مورد غذائي لأجل القاطنين بها[121].

وقد امتازت العلاقات العربية بأنها كانت علاقات سليمة، بنيت على أساس المصالح التجارية، فكان التجار العرب يتوغلون في داخل القارة بهدف التجارة، ونشر الدين الإسلامي، فوصولهم إلى الأقسام الجنوبية، إلى الحبشة والأقسام الغربية من الصومال، لم يكن بوساطة الفتح أو الغزو، بل كان عن طريق التجارة، حيث أخذ التجار العرب يقدمون إلى هذه البلاد، ويدخلون الكثير من سكان هذه المناطق في الدين الإسلامي[122].

وبعد أن هاجر العرب المسلمون إلى منطقة شرق أفريقيا، وجدوا التربة الخصبة الغنية والمياه الغزيرة التي يندر وجودها في موطنهم الأصلي،

(119) الطناشي، خديجة أحمد: العلاقات السياسية بين القوى الإسلامية والمسيحية في الحبشة خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين (طرابلس، 1996)، ص 73.

(120) بيريز، رونالد: تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة راشد البراوي، (دار الوعي العربي، بدون تاريخ)، ص 20.

(121) رياض، زاهر: الإسلام في الحبشة (القاهرة، 1964)، ص 15.

(122) دنيس بولم: الحضارات الأفريقية، ص 98.

فشجعهم ذلك على الاهتمام بالزراعة إلى جانب اهتمامهم بالتجارة، فقاموا بزرع مساحات واسعة من الأرض بمختلف المزروعات، التيكان جزء من إنتاجها يصدر إلى شبه الجزيرة العربية، لاسيما في المواسم التي تجذب فيها أرضها[123]. ونتيجة لاشتغال العرب المسلمين بالزراعة في شرق أفريقيا، فقد أحدثوا تطوراً كبيراً في أساليب الزراعة وأنواع المزروعات، وأدخلوا أساليب وأنماطاً زراعية جديدة لم تكن معروفة من قبل. فالزراعة التي كان يمارسها سكان الساحل من الأفارقة، قبل وصول العرب واستقرارهم هناك، كانت من النوع البسيط البدائي الذي تُستخدم فيه الفؤوس أو العصي المدببة، فطوَّر العرب ذلك واستخدموا المحراث[124].

وقد كوَّن العرب علاقات تجارية عن طريق تبادل السلع، واحتكوا بالسكان، مما ساعد على انتقال الأفكار العربية إلى سكان هذه المناطق، فخرجت المجموعات في تلك المناطق من أفقها الضيق المحدود، وكان من آثار هذا الاتصال ظهور أساليب زراعية، لم تكن معروفة في هذه المناطق من قبل، فقد جلب العرب إلى هذه المنطقة أشجار بعض الفواكه، وزرعوا النخيل، وأدخلوا زراعة الذرة والفول في الأرض الواقعة حول مجاري الأنهار، كما أدخلوا البقول والأرز[125]. كذلك أدخل العرب، إلى منطقة زنجبار، زراعة البرتقال والليمون والقطن والقرنفل[126].

وكان نظام العمل في أفريقيا قبل الإسلام بدائياً قائماً على تربية المواشي، وأحياناً على حرفة الصيد، ولكن بعد انتشار الإسلام عرف الأفارقة قيمة العمل، ويتضح ذلك في أن الصناعة في أفريقيا، تطورت

(123) وفيق الخشاب، وإبراهيم المشهداني: أفريقيا جنوب الصحراء، ص 19.

(124) إبراهيم، محمد عبد الفتاح: أفريقية من نهر السنغال إلى نهر جوبا مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1961) ص15.

(125) محمود شاكر: نيجريا، ص 13 ـ 14.

(126) دنيس بولم: الحضارات الأفريقية، ص 100.

بمجيء الإسلام إليها، حيث قامت مصانع يدوية للنسيج متعددة الألوان والأنواع، وبازدهار الصناعة ازدهرت التجارة، وهذا ما دوَّنه لنا (حسن الوزان) عندما زار الممالك الإسلامية، حيث تبين لنا من حديثه عن هذه الممالك وعن اقتصادها، أن أهلها كانوا تجاراً أو صُناعاً ماهرين[127].

ولم يكتف العرب المسلمون بالعمل في المجال التجاري المتمثل في نقل السلع، والمنتجات الأفريقية إلى البلدان التي تحتاجها، وإنما مارسوا مهنة التعدين والتنقيب عن المعادن الموجودة في المنطقة، واستخراجها وتصنيعها، حيث استغلوا مناجم الذهب والفضة والنحاس والحديد في عدة أماكن في منطقة الساحل الشرقي لأفريقيا؛ كمناجم الذهب في سفالة، ومناجم الزمرّد في بلاد السودان، لا سيما في منطقة العلاقي، وقد كانت كميات كبيرة من الذهب ترد إلى الدولة الإسلامية من منطقو سُفالة، حتى أُطلق عليها اسم (سُفالة الذهب)[128].

ومن الحرف التي ظهرت في شرق أفريقيا، بعد استقرار المسلمين بها، حرفة الحدادة، حيث قام المسلمون بصهر الحديد الذي يوجد في المنطقة بكميات كبيرة، واستغلاله في صنع بعض أنواع الأسلحة، كالسيوف والخناجر وغيرها[129]. كذلك برعوا في الحفر على الخشب وزخرفته، حيث كانوا يحفرون الأبواب الخشبية؛ لتجميل المنازل والمساجد، وما زالت تلك الأبواب تشاهد في زنجبار حتى وقتنا الحاضر[130].

واهتم العرب في شرق أفريقيا بالثروة الحيوانية اهتماماً كبيراً، حيث

(127) الوزان، حسن: وصف أفريقيا، ترجمة محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 1983)، 1/ 186.

(128) بكار، عبد الرحمن صالح: انتشار الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا، رسالة ماجستير نوقشت بتاريخ 31/ 12/ 2001 بكلية الآداب، جامعة قاريونس، ص 182.

(129) محمد عوض: الشعوب والسلالات الأفريقية، ص 207.

(130) سبنسر ترمنجهام: الإسلام في شرق أفريقيا، ص 12.

قاموا بتربية الإبل والخيول والماشية، والأغنام، واعتنوا بتربيتها عناية فائقة، فقد ذكر (ابن بطوطة) عند زيارته لزيلع ومقديشيو أن في هاتين المدينتين حيوانات كثيرة، ففي زيلع أغنام مشهورة بالسمن، وفي مقديشو جمال كثيرة، ينحرون منها المئات في كل يوم. وبلغ من اهتمام المسلمين في شرق أفريقيا بالثروة الحيوانية وتنميتها، أن أصبحت الخيول والجلود ومنتجات الألبان من أهم صادرات المنطقة. وأدخل العرب إلى شرق أفريقيا طرقاً هندسية متطورة جداً للمباني، وذلك باستعمال الأسمنت والجير، واستعمال الأحجار في البناء، فحلَّ الطراز الإسلامي، في بناء المنازل والقصور والمساجد، محل الأكواخ الأفريقية ذات الأسقف المخروطية التي كانت تبنى بجذوع الأشجار وأغصانها. وهكذا يتضح لنا جلياً الدور العظيم، والمهم الذي لعبته الهجرات العربية إلى شرق أفريقيا، في تطور وتقدم الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية؛ فقد جاء العرب المسلمون بحضارة جديدة، أتاحت للشعوب الزنجية طابعاً حضارياً متميزاً، ما زال واضحاً حتى اليوم، حيث جعل الإسلام من المجموعات والقبائل الوثنية المنعزلة والمتفرقة شعوباً متحضرة ذات أفق واسع، ورفع من مستوى حياتها الاجتماعي والثقافي، وخلع الإسلام على أتباعه الأفارقة الكرامة والعزة.

مصادر ومراجع البحث

أولاً: المصادر

1. ابن أبي زرع، أبو الحسن على بن عبد الله. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (الرباط، 1973).
2. ابن الأثير، أبو الحسن علي. الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي (بيروت، 1980).
3. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد.رحلة بن بطوطة، تحقيق أحمد العوامري (القاهرة، 1934).
4. ابن جبير، محمد بن أحمد. رحلة ابن جبير (بيروت، 1981).
5. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن عبد الله. كتاب صورة الأرض، مكتبة الحياة (بيروت، بدون تاريخ).
6. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء. البداية والنهاية، دار الغد العربي(القاهرة، 1991).
7. الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد . نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشرة دوزي ودي غويه (ليدن، 1966).
8. الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد. شذرات الذهب في أخبار من ذهب (القاهرة، 1350 هـ).
9. الطبري، محمد بن جرير . تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر (القاهرة، 1965).
10. القلقشندي، أحمد بن علي. صبح الأعشى في صناعة الإنشا (القاهرة، بدون تاريخ).

11. المسعودي، أبو الحسن على بن الحسين: 1 ـ أخبار الزمان ومن إباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران (بيروت، 1966)؛ 2 ـ التنبيه والإشراف (بدون مكان، 1938).

12. الوزان حسن بن محمد . وصف أفريقيا، ترجمة محمد صبحي ومحمد الأخضر، (بيروت، بدون تاريخ).

ثانياً: المراجع

13. إبراهيم، محمد عبد الفتاح . أفريقية من نهر السنغال إلى نهر جوبا، مكتبة الأنجلو المصرية(القاهرة، 1961).

14. أبو بكر، على الشيخ أحمد . الدعوة الإسلامية المعاصرة في القرن الأفريقي (الرياض، بدون تاريخ).

15. الأحمر، محمد مصباح. أفريقيا والعرب (طرابلس، 1999).

16. أسبر، أمين . أفريقيا والعرب، دار الحقائق (القاهرة، 1980).

17. أوليفر، رولاند وجون فيج. موجز تاريخ أفريقيا، ترجمة دولت أحمد صادق الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة (القاهرة، 1965).

18. بشير، محمد عمر. العلاقات العربية الأفريقية (الخرطوم، 1984).

19. بكار، عبد الرحمن صالح. انتشار الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا، رسالة ماجستير نوقشت بتاريخ 31/ 12/ 2001 بكلية الآداب بجامعة قاريونس.

20. بولم، دنيس. الحضارات الأفريقية، ترجمة علي شاهين (بيروت، بدون تاريخ).

21. بيريز، رونالد. تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، ترجمة راشد البراوي (دار الوعي العربي، بدون تاريخ).

22. ترمنجهام، سبنسر. الإسلام في شرق أفريقيا ترجمة محمد عاطف النواوي (القاهرة، 1973).

23. الجمل، شوقي. 1 ـ تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، 1971)؛ 2 ـ دور العرب الحضاري في أفريقيا (القاهرة، 1987).

24. الجمل، شوقي وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم..تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة (القاهرة، 1966).

25. جوليان، شارل أندريه. تاريخ أفريقيا، ترجمة طلعت عوض أباظة، مراجعة عبد المنعم ماجد، دار المعارف (القاهرة، 1968).

26. الحداد، محمد أحمد مشهور. حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في أفريقيا الشرقية، دار الفتح (جدة، 1973).

27. حسن، حسن إبراهيم. 1 ـ انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1963)؛ 2 ـ انتشار الإسلام والعروبة في الصحراء الكبرى (القاهرة، 1957).

28. حسن، يوسف فضل. 1 ـ انتشار الإسلام في أفريقيا (الخرطوم، 1979)؛ 2 ـ الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، مركز الدراسات العربية (بيروت، 1984).

29. حسين، أحمد إلياس. سلع التجارة الصحراوية، تحرير عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية (طرابلس، 1979).

30. الخشاب، رفيق وإبراهيم المشهداني. أفريقيا جنوب الصحراء، وزارة التعليم والبحث العلمي بالجمهورية العراقية (بغداد، 1978).

31. ذياب، أحمد إبراهيم. لمحات من تاريخ أفريقيا الحديث، دار المريخ (الرياض، 1981).

32. رفلة، فيليب. الجغرافية السياسية الأفريقية، مكتبة الوعي العربي (القاهرة، 1965).

33. زكي، عبد الرحمن. المسلمون في العالم اليوم (أفريقية الإسلامية) مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1958).

34. شاكر، محمود. 1 ـ تنزانيا، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1971)؛ 2 ـ نيجريا، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1971).

35. شلبي، أحمد. موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (الإسلام والدول الإسلامية جنوب صحراء أفريقية منذ دخلها الإسلام حتى الآن، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1983).

36. شهاب، حسن صالح. أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار العودة (بيروت، 1981).

37. صادق، دولت. شرقي أفريقية دراسة في جغرافية الإسلام، المؤتمر الجغرافي الأول (بدون مكان، بدون تاريخ).

38. الطناشي، خديجة أحمد. العلاقات السياسية بين القوى الإسلامية والمسيحية في الحبشة خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين (طرابلس، 1996).

39. عابدين، عبد المجيد. بين الحبشة والعرب (القاهرة، 1947).

40. عبد الظاهر، حسن عيسى. الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفولاني في مطلع القرن الثاني عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، دار الهلال (الرياض، 1981).

41. العمري، أحمد سويلم. الأفريقيون والعرب، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1967).

42. عودة، عبد الملك. العرب وأفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية

(بيروت، 1984).

43. الغنيمي، عبد الفتاح مقلد. حركة المد الإسلامي في غرب أفريقيا (القاهرة، بدون تاريخ).

44. غيث، فتحي. الإسلام في الحبشة عبر العصور (القاهرة، 1962).

45. الفاسي، محمد وإيفان هربك. تاريخ أفريقيا العام (اليونسكو، 1988) الجزء الثالث.

46. الفيتوري، عطية مخزوم. دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي، 1998).

47. قاسم، جمال زكريا. الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، معهد البحوث والدراسات العربية (القاهرة، 1975).

48. قاسم، عون الشريف. دراسات أفريقية، العدد السادس (بدون مكان، 1990).

49. لويد، ب. س. أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي (الكويت، 1980).

50. محمد، إبراهيم. دولة زنجبار الحديث في عهد السلطان سعد بن سلطان، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي (طرابلس، 2000).

51. ويرنز، دونالد. تاريخ أفريقيا، ترجمة راشد البراوي (بيروت، بدون تاريخ).